

تفسير ابن كثير

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا^ج وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ

ولهذا قال تعالى : (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) أي : طمأنينته وثباته على رسوله ، (

وعلى المؤمنين) أي : الذين معه ، (وأنزل جنودا لم تروها) وهم الملائكة ، كما قال

الإمام أبو جعفر بن جرير : [حدثنا القاسم قال] حدثني الحسن بن عرفة قال : حدثني

المعتمر بن سليمان ، عن عوف - هو ابن أبي جميلة الأعرابي - قال : سمعت عبد الرحمن

مولي ابن برثن ، حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة - قال : فلما

كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه ، فقالوا لنا :

شاهت الوجوه ، ارجعوا . قال : فانهزمنا ، وركبوا أكتافنا ، فكانت إياها . وقال الحافظ

أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثني محمد بن أحمد بن بالويه ، حدثنا

إسحاق بن الحسن الحري حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا
الحارث بن حصيرة ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال ابن مسعود -
رضي الله عنه - : كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين ، فولى عنه
الناس ، وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار ، قدمنا ولم نولهم الدبر ،
وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة . قال : ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على
بغلته يمضي قدما ، فحادت بغلته ، فمال عن السرج ، فقلت : ارتفع رفعك الله . قال :
ناولني كفا من التراب . فناولته ، قال : فضرب به وجوههم ، فامتألت أعينهم ترابا ، قال :
أين المهاجرون والأنصار ؟ قلت : هم هناك . قال : اهتف بهم . فهتفت بهم ، فجاءوا
وسيوفهم بأيمانهم ، كأنها الشهب ، وولى المشركون أدبارهم . ورواه الإمام أحمد في
مسنده عن عفان ، به نحوه . وقال الوليد بن مسلم : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي
بكر الهذلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبه بن عثمان قال : لما رأيت رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين قد عري ، ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة
إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري منه - قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس

بن عبد المطلب قائما ، عليه درع بيضاء كأنها فضة ، يكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه
ولن يخذله - قال : فجئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ،
فقلت : ابن عمه ولن يخذله . فجئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف ، إذ
رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق ، فخفت أن تمحشني ، فوضعت يدي على
بصري ومشيت القهقري ، فالتفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : يا شيب ،
يا شيب ادن مني اللهم أذهب عنه الشيطان . قال : فرفعت إليه بصري ، وهو أحب إلي من
سمعي وبصري ، فقال : يا شيب قاتل الكفار . رواه البيهقي من حديث الوليد ، فذكره ثم
روى من حديث أيوب بن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال
: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين ، والله ما أخرجني إسلام
ولا معرفة به ، ولكني أبيت أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقف معه : يا رسول
الله ، إني أرى خيلا بلقا ، فقال : يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافر . فضرب بيده في صدري
، ثم قال : اللهم اهد شيبة ، ثم ضربها الثانية ، ثم قال : اللهم اهد شيبة ، ثم ضربها الثالثة
ثم قال : اللهم اهد شيبة . قال : فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد

من خلق الله أحب إلي منه ، وذكر تمام الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء
العباس واستنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هزم الله المشركين. قال محمد
بن إسحاق : حدثني والدي إسحاق بن يسار ، عن حماد بن عمار ، عن جبير بن مطعم - رضي
الله عنه - قال : إنا لمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين ، والناس يقتتلون ،
إذ نظرت إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء ، حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نمل
منثور قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة. وقال سعيد
بن السائب بن يسار ، عن أبيه قال : سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهد حنيناً مع
المشركين ثم أسلم بعد - فكنا نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم
حنين ، فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن ، فيقول : كنا نجد في أجوافنا
مثل هذا. وقد تقدم له شاهد من حديث يزيد بن أبي أسيد قال الله أعلم. وفي صحيح مسلم ،
عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق أنبأنا معمر ، عن همام قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة
قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم
ولهذا قال تعالى : (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها

وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين)